

ثالث: التداعيات الناتجة عن فكر القوة :

نظراً لأن فكر القوة يكون محدوداً بما يركز عليه من قوة مادية (مالية أو عسكرية أو سلطوية أو تكنولوجية إلخ) ، فإنه (أى فكر القوة) يسبب تشوهات فى المنظومة أو البيئة التى يتسيد فيها ، سواء هى أسرة أو مؤسسة أو دولة أو منظمة دولية .. إلخ .. إنها تشوهات تظهر فى شكل سلاسل من عدم الانتظام Assymetry داخل بنى وأنشطة المنظومة ، وكذلك تظهر فى شكل فوضى فى درجات الحرية المتاحة (إن نقصاً أو زيادة) لختلف أجزاء المنظومة . ومن الطبيعى أن تنتج عن هذه التشوهات توجهات وأحكام وحركات ، تتسم بالسلبيات التالية :

- * الأنانية .
- * التلقيفية والبروباغندا والتجميل السطحى .
- * عدم انتظامية الإصلاح والتطوير .
- * الافتقاد إلى التراكمية (فى الفكر والفعل) .
- * غيبة المنظور طويل المدى للتطور وللاستقرار وللمصالح (العامة والخاصة على السواء) .
- * استنساخ الأنانية والضعف فى القيادات (والكيانات) القائمة .
- * الاغتراب ، وخاصة اغتراب العمالة^(١) .

إن السلبيات السابق ذكرها تتجسم من الناحية العملية فى توجهات وإجراءات ونتائج مضادة للمصالح الإنسانية (على مستويات كبرى وصغرى على السواء) ، ومن أمثلة ذلك ما يلى :

١- ما ورد فى وثائق ومذكرات وزارة الخارجية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية من توجهات تعد نموذجاً فذاً لفكر القوة ، نختار منها ما يلى (بترجمته الحرفية)^(٢) .

- * «نحن نملك ٥٥٪ من ثروات العالم ، مع أننا نمثل فقط ٦,٣٪ من تعداد سكان الكوكب ... ، ومهمتنا الحقيقية فى المستقبل هى المحافظة على هذا الوضع غير المتزن . ومن أجل تحقيق ذلك علينا التخلص من بقايا أحلام اليقظة ، وأن نركز على أهدافنا القومية ، وأن نتوقف عن الحديث عن أهداف غير واقعية مثل «حقوق الإنسان» أو «رفع مستوى المعيشة» أو

(١) الجدير بالذكر أن شدة ومساحة هذا الاغتراب قد تزايدت بدرجات كبيرة ، بعد بدء موجة تسريح العمالة ، نتيجة لعمليات الاندماج والاستحواذ بين الشركات العالمية الكبرى ، وكذلك نتيجة بعض عمليات الخصخصة فى بعض البلدان النامية .

(٢) انظر : هكذا تحدث ناعوم تشومسكى - د. سمير حنا صادق - كراسات عروض - المكتبة الأكاديمية - القاهرة - ٢٠٠٢ .

«تطبيق الديمقراطية». ففي المستقبل القريب سوف نضطر إلى استعمال القوة ، وكلما تخلصنا من الشعارات المثالية سهل تحسن موقفنا».

* «يجب أن نقوم بحماية ممتلكاتنا من المواد الخام في أمريكا اللاتينية ، ويجب أن نخلص أهلها من فكرة أن حكوماتهم مسئولة عن رخائهم ورفاهيتهم وصحتهم» .

* «إن أمريكا اللاتينية تسودها الآن فلسفة خطيرة ، هي فلسفة التنمية الوطنية المستقلة، التنمية من أجل توفير الاحتياجات المحلية».

٢- تكوين (وتضييق) النظام العالمى على أساس من الطمع ، وليس على شرعية أخلاقية^(١) .

٣- اتجاه القوى التجارية الكبرى فى العالم (من دول وشركات) إلى عرقلة حق الإبداع فى الجنوب ، من خلال إتفاقيات التجارة العالمية (عام ١٩٩٥) وعلى وجه الخصوص اتفاقية حقوق الملكية الفكرية^(٢) ، وذلك بعد أن قامت هذه القوى بإجهاض محاولات الاتفاق بين الشمال والجنوب على مدى ثمانينيات القرن العشرين ، من أجل التوصل إلى مدونة عالمية لنقل التكنولوجيا .

هنا تجدر الإشارة إلى أن الولايات المتحدة قد تمكنت بمفردها من إجهاض المفاوضات ، التى أجريت فى جنيف طوال عام ٢٠٠٢ ؛ من أجل التوصل إلى آليات لتنفيذ فقرة وردت فى بيان المؤتمر الوزارى الرابع لمنظمة التجارة العالمية، والذى عقد فى الدوحة (نوفمبر ٢٠٠١) ، وهى فقرة تتعلق بآلية لتوفير الدواء للبلدان النامية .

٤- الاتجاه المكثف من جانب أصحاب ومديرى الشركات العالمية الكبرى لفرض تسريح قطاعات كبيرة من العاملين .

٥- استيلاء حكومة الولايات المتحدة عنوة على التقرير العراقى المرسل إلى الأمم المتحدة ، قبل عرضه على مجلس الأمن (قبل هجوم قوات التحالف على العراق فى مارس ٢٠٠٣) .

٦- الهجوم العراقى على الكويت عام ١٩٩٠ ، وتداعياته السلبية على البلدين وعلى المنطقة ككل .

(١) مثلاً الاستعمار المباشر فى عصر سابق ، ثم الاستعمار الاقتصادى بواسطة مصيدة الديون فى فترة تالية ، والآن ما يوصف بواسطة البعض بعسكرة العولمة .

(٢) انظر للمؤلف: حقوق الملكية الفكرية - رؤية جنوبية مستقبلية - المكتبة الأكاديمية - ٢٠٠٢ - القاهرة .

٧- الاعتماد - إلى حد كبير - على تلقائية استمرار الاستحواذ على السلطة، داخل العديد من الأنظمة والأحزاب السياسية والجمعيات الأهلية في البلدان النامية .

٨- تزييف إرادات العقل الجمعي Collective mind باستخدام الوسائل الإعلامية والدعائية الحديثة ، وكذلك باستخدام المال .

٩- اللجوء - فى بعض البلدان - إلى التقدير الجزافى للضرائب ، كبديل عن التوصل إلى تقدير سليم ودقيق للضرائب المستحقة بموضوعية ، عن طريق البحوث والدراسات والإجراءات الشفافة والسليمة .

١٠- ظهور موجه جديدة من المؤتمرات والندوات العلمية المحلية ، التى يعقد كل منها تحت الرعاية الاسمية ، والرئاسة لعدة شخصيات مشولة (فى وقت واحد) ، وهى مؤتمرات تحال فيها رئاسة الجلسة الواحدة إلى عدة أفراد (أساتذة) يتزاحمون كتفاً بكتف على منصة الرئاسة!؟

١١- زيادة حوادث كشف انحرافات مالية وإدارية لكبار الشخصيات ، وكذلك لكيانات مؤسسية على مستويات عالمية ومحلية .

١٢- رفض الاختلافات الموضوعية داخل الأنظمة الهرمية للإدارة (أو داخل بعض الأحزاب وبعض الجماعات الأهلية) ، ومعاملة المختلفين باعتبارهم مشاغبين .

١٣- اللجوء إلى الإمكانيات المالية كبديل لمجموع الدرجات عند التحاق الطلاب بكليات القمة فى بعض الجامعات الخاصة (كما حدث فى مصر مؤخراً) ، برغم كافة الجهود الحكومية والمجتمعية الرامية للانضباط .

١٤- استخدام الدم كمصدر غذائى لحيوانات ، تعتمد فى طبيعتها الغذائية على النباتات ، مما أدى إلى ما يعرف بجنون البقر .

١٥- العودة (الرجعية) إلى سطوة علاقات القرابة والمال فى اختيار القيادات والتعيينات ، كبديل عن اعتبارات الكفاءة .

على العكس مما يصاحب فكرة القوة من محدودية وتشويهية ، فإن قوة الفكر تتميز بالاتجاه إلى الارتقاء فى الاتساق والتكامل ، وهو الأمر الذى يجعل لحركياتها إيجابيات عديدة نشير إلى أهمها فيما يلى :

* الموضوعية ، بمعنى الميل إلى الحيادية والنزاهة والاستفادة بالنقد .

* الأخذ فى الاعتبار للجزئيات والكليات فى آن واحد .

* احترام قوانين الطبيعة .

* رحابة التعامل النقدى مع المعارف والرؤى والقوانين الوضعية .

رابعاً: آفاق قوة الفكر :